نديم محمد عقيل ريحاوي

المرأة بين الظلام والنور

مركز المرأة للدراسات والاستشارات
ت : ٢٤٤٦٠٢٢
ت.ف: ٢٤٤٦٠٣٣
ترخيص رقم :(٧١)

دمشـــــــق

١٤١٦ ـ ١٩٩٥

٤٠
ر ن

المرأة

بين الظلام والنور

ريع الدار

لهيئة مدارس أبناء وبنات الشهداء في الجمهورية العربية السورية

دمشق أوتوستراد المزة ص.ب: ١٦٠٣٥ ـ برقياً طلاسدار

هاتف: ٦٦١٨٩٦١ـ٦٦١٨٠١٣ تلفاكس: ٦٦١٨٨٢٠ تلكس: ٤١٢٠٥٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده. يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. والصلاة والسلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

أسأل الله التوفيق والهداية إلى صراطه المستقيم.

تأليف

نديم محمد عقيل ريحاوي

إهـداء

إلــى

السيـد العـمـاد مـصـطـفـى طـلاس

إن الصفة المميزة التي يحملها الإنسان لتجعله صادقاً صدوقاً ، هي الإخلاص . والبحث عنها يتطلب العمل والتضحية والإيثار .

والأمر الثابت والحقيقي لهذا الرباط المقدس هو ديمومته حتى رحيل صاحبه عن الحياة ، سواء في القـلـب أو العقـل أو النفس وإنـه لا يسعنـي أمـام ما حملتـه نفسك الطيبـة من الإخلاص يا سيادة الأخ العماد « مصطفـى طلاس » من هذه الروابط العظيمة بيننا إلا أن أقدم لك هذا الكتاب المتواضع للإنسان العظيم هدية تحفظ العهد القديم والجديد والمستقبل بيننا .

المخلص المؤلف

نديم ريحاوي

المرأة في العالم

$\frac{1}{2}$ سكان الكرة الأرضية

$\frac{1}{3}$ القوى العاملة

$\frac{1}{10}$ ماتحصل عليه من الدخل العام

$\frac{1}{100}$ تمتلك من الممتلكات في العالم

منظمة العمل الدولية

٢,٦٧٠,٠٠٠ مليار رجل في العالم

٢,٦٣٠,٠٠٠ مليار امرأة في العالم

احصائية عام ١٩٩٣

المقدمة

المرأة نصف المجتمع . حيث تبني المرأة العاقلة الحضارة بينما تهدم المرأة الجاهلة العاهرة الحضارة أيضاً .

بمقدار ما تعي المرأة بما مَلَّكها الخالق لها ضمن الشريعة الإسلامية لنيل حقوقها ــ بمقدار ما تجد قيمتها بين المخلوقات . كما أنها تجد الشريعة الإسلامية قد منحتها الحقوق أكثر مما منحته للرجل إضافة إلى تكليفه بحفظها ورعايتها وصون كرامتها ، ونظافة سمعة شرفها وعفتها وحتى بمعيشتها سواء هي عذراء أو هي متزوجة أو هي أرملة ، كل ذلك حققه لها كتاب الله الكريم وسنة رسوله الشريفة .

ولم يكن الحجاب للمرأة يوماً كافياً لستر عورتها إذا لم تكن تحمل ما منحها البيت الذي نشأت فيه مما أسبغه الله عليها يوم ولادتها من الفطرة الإلهية التي فطرها الله عليها . ولقد أمر الله ورسوله المرأة أن تتزين بالعلم (الديني ــ الدنيوي) . حتى نجد بعدها المرأة العظيمة ــ المرأة الفاضلة ــ المرأة الشجاعة ــ والمحافظة على ما فطرها الله عليه ، حيث تبني الأسرة العظيمة وتشارك في بناء المجتمع الفاضل وتحرص على حضارة أمتها .

لهذا فإن القرآن الكريم وسنة رسوله هما الكفيلان لوضع المنهج الإلهي لسعادة الفرد ـ ذكر أو أنثى ـ في هذا المجتمع الطيب.

قُلْ لِلْمَلِيحَةِ فِي الخِمَارِ الأَسْوَدِ . . .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي خلق الإنسان من نفس واحدة ، وخلق منها زوجها ، وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد ﷺ والقائل :

« إنما النساء شقائق الرجال » ، ورضي الله عن الصحابة الكرام ومن تبعهم بخير وإحسان إلى يوم الدين .

إن خير ما نضيء به واقعنا ونلتزم به في حياتنا هو معرفة حقيقة واقع المرأة سواء في الماضي البعيد — والماضي القريب — والحاضر . وما يجب أن تكون عليه في المستقبل لأنها الأساس المتين لاستمرار الحياة على الأرض التي أراد الله لهذه الساحة الكبيرة — من اليابسة والماء — دوام الحيوية والحركة والنشاط .

لهذا خلق الله آدم ، وخلق منه زوجه ، وأسكنهما الجنة وأباح لهما جميع ما فيها من المأكل والشراب ، باستثناء شجرة نهاهما الله أن يأكلا منها . حيث قال الله تعالى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين﴾ — صدق الله العظيم — سورة البقرة .

هكذا كانت بداية حواء مع بداية آدم حيث قال الله تعالى : ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ . سورة الروم .

لقد كان في وجودها معه هدوءاً للنفس وراحة واطمئناناً وكان للمودة والرحمة بينهما أن جعله يأخذ برأيها خطأً أو صواباً . ورغم أنها كانت السبب في مخالفة أوامر الله وكانا من الظالمين ، فلقد فتش عنها آدم عندما هبطا إلى الأرض ، وتعب كثيراً حتى وجدها لتكون إلى جانبه بما أوحى الله تعالى بها من صفات الكمال للرجل ، سارت عربة الزمن والمرأة تعيش إلى جانب الرجل بنظم متطورة حسب تطور الحضارة ، وإذا قلبنا صفحات التاريخ لأرقى حضارات الأمم السابقة وطالعنا وضع المرأة فيها نجد أنها كانت في غاية العجب .

نرى أن المرأة تلد الرجل وترضعه وتحرص على تربيته ونشأته ، وهي أم حنون صابرة ، كما كانت شريكته في الحياة تشاطره البؤس والرخاء وهي زوج . وقد تكون خادمة بل أمة تباع وتشرى محرومة من جميع الإرث والملك . واتهموها أحياناً بأنها مجموعة من الفواحش والذل ، فلا يدعون لشخصيتها ومواهبها فرصة النمو والارتقاء ، وفي مناطق أخرى نرى أن تلك المرأة نفسها قد عظموها وقدسوها وأكبروا من شأنها إكباراً ، ثم تتبعه موجة عنيفة من فوضى الأخلاق وانحطاط الآداب ، حيث يتخذوها الرجال مطية لأهوائهم ويجعلون منها جبالة الشيطان في حقيقة الأمر وواقعه ، وكلما تأخذ الإنسانية في التردي والهبوط كلما تدرجت المرأة في الترقي والظهور في هذه الجهة . ومهما يكن فالتاريخ يشير إلى أن أية أمة من الأمم حيثما تخرج من ظلمات الجهل والهمجية وتتقدم إلى ميدان المدنية والحضارة . ترافق النساء رجالها في هذا المجال من التطور بنفس التطور التي كانت عليها قبل بدء ظهور حضارتها . ولما تتقدم وتتطور الحضارة العلمية والأدبية والأخلاقية تتطور معها المرأة وتبلغ مراحل الرقي المدني وتتقدم إلى الأمام وتبلغ الشطر الكامل من كيانها ــ مثلما كانت عليه في الانحطاط والتقهقر ويجب عليها أن تبقى دائماً حذرة خائفة كي لا يتاجر بحريتها وينادون بمساواتها ويدعونها للاختلاط مع الرجل ، لأن هذا يؤدي بها أن

تنهار الأسرة ، وتنتشر الخلاعة والفحشاء والفجور . ولا جرم أن يتبع هذا التدهور الخلقي التقهقر في القوى الجسدية والمواهب الفكرية والمادية ، وتصبح الأمة مصيرها إلى الهلاك والانقراض لا محالة .

ــ المرأة في عهد اليونان :

كان واقع المرأة يسير تطورها مع تطور وتقدم الحضارة عند اليونان . فلقد كانت المرأة في أول عصرها في غاية الانحطاط وسوء الحال من حيث نظرية الأخلاق والحقوق القانونية والسلوك الاجتماعي جميعاً . لم يكن لها في المجتمع منزلة أو مقام كريم ، ولقد كانت الأساطير اليونانية قد اتخذت امرأة خيالية تسمى باندورا (Pindora) وكانت ينبوع جميع آلام الإنسان ومصائبه . كما جعلت الأساطير اليهودية حواء العين التي تنشق منها جداول الآلام والشدائد . وغير خاف على أحد ما كان لهذه الأسطورة اليهودية الشنيعة عن حواء من تأثير عظيم في سلوك الأمم اليهودية والمسيحية قِبَل المرأة ، وما كان لها من مفعول قوي في حقول القانون والأخلاق والاجتماع عند هؤلاء الشعوب . ولم تكن المرأة عندهم إلا خلقاً من الدرك الأسفل وفي غاية من المهانة والذل في كل جانب من جوانب الحياة الاجتماعية . وأما منازل العز والكرامة في المجتمع فكانت كلها مختصة بالرجل . ولقد تخلل هذا السلوك تعديلات قليلة بانتشار أنواع الحضارة حيث ارتفعت مكانة المرأة في المجتمع وأصبحت أحسن حالاً وأرفع منزلة من ذي قبل . وإن بقيت منزلتها القانونية على حالها لم تتبدل . ولقد أصبحت واجبات ربة البيت منحصرة في حدودها ، كما أصبح لها في داخله سلطة ونفوذ تام وكان عفافها من أغلى وأنفس ما يملك . ومما ينظر إليه بعين التقدير والتعظيم . ولقد كان الحجاب شائعاً في البيوت العالية ، وكانت بيوتهم على قسمين : قسم للنساء وآخر للرجال . ولم تكن النساء يشاركن في المجالس والأندية المختلطة ،

ولا يظهرن في الأماكن العامة ، وكان يعد زواج المرأة وملازمتها لزوجها دون غيره من أمارات النجابة والشرف ولأمثالها كانت الحرمة والمنزلة في المجتمع ، وعلى العكس كانوا ينظرون إلى حياة العهر والدعارة ، نظرة كره وازدراء ، هذا في عصر كانت الأمة اليونانية في عظمة مجدها وعنفوان شبابها وقوتها ، وكانت تنمو صعداً إلى الرقي والكمال ، ولا ريب أنه كانت عندهم مفاسد خلقية في ذلك العصر ، غير أنها كانت منحصرة في نطاق محدود ضمن أماكن محدودة . ولم يكن الرجال يطالبون بمثل هذا العفاف وطهارة الأخلاق وذكاء السجية مثلما كانت تطالب بها المرأة أو تؤاخذ عليها ، بل كانوا يستثنون من التخلق بالأخلاق الحسنة ، كما لم يكن من المتوقع أن يعيشوا حالة العفاف والحشمة ، ومن أجل ذلك كانت المومسات جزءاً من صميم المجتمع اليوناني لا ينفصل عنه أبداً ، ولا يعاب المرء إذا عاشرهن وخادمهن غير أن الغرائز البهيمية والأهواء الجامحة دفعت العاهرات والمومسات أن تتبوأ مكانة عالية في المجتمع ولا نظير لها في تاريخ البشرية حيث أصبحت بيوتهن مركزاً يؤمه سائر طبقات المجتمع ومرجعاً يلجأ إليه ويؤمه الأدباء والشعراء والفلاسفة يدور حولها كواكب الفلسفة والأدب والشعراء والتاريخ وما عداها من الفنون . أضف إلى ذلك أنهن أصبحن القطب الذي تدور حوله رضى الأمة اليونانية ، فلم يكن يرأسن أندية العلم ومجالس الأدب فحسب ، بل كن وعندهن المشاكل السياسية والإدارية أيضاً حيث تحل جميع العقد وتفك معضلاتها بحضرتهن وتحت إشرافهن ، كما أصبحن المرجع في كافة المسائل الرئيسية التي تعلو بها الأمة أو تسفل أو تحيا أو تموت ، كما كانت المرأة لا ترضى في هذه الحالة أن تعاشر رجلاً واحداً أو أكثر في ليلة أو ليلتين ، ولقد ذهب أهل اليونان في غيهم بالمرأة وحبهم لها واستمتاعهم لها أن ارتطموا في حماة الرذائل وأضرم في قلوبهم نار الشهوة لا تخمد .

فذهبوا يتفننون بصناعة التماثيل العارية والتفنن والافتنان في صنعها وإتقانها تجعل فيها ما يحرك شهوتهم دائماً وتمدهم في غرائزهم البهيمية ولا يخطر لهم ببال أن الاستسلام للشهوات شيء ذميم في قانون الأخلاق والاندفاع وراء الأهواء ــ عار وهجنة، فلقد أصبح كبار الفلاسفة منهم وعلماء الأخلاق عندهم لا يَروْنَ في الزنى وارتكاب الفحشاء غضاضة يلام عليها المرء. ولم يعد الزواج بحاجة إليه لأن المرأة لم يعد لها نظاماً يحفظ كرامتها. حتى أصبحت سلعة، ولقد خضعت أخلاقهم وغرائزهم الشهوانية هذه إلى ديانتهم، وانتشرت فيهم عبارة أفروديت **Aphradat** التي كان من قصتها عندهم في الأساطير مايسيولوجي **Mythology** أي أنها خادنت ثلاثة آلهة مع كونها زوجة إله خاص ومن بطنها تولد كيوبيد **Kupid** إله الحب نتيجة اتصالها بذلك الحزن البشري، وخلال هذا العصر في اليونان البالغ من الانحطاط أدناه وأسفله ظهرت في الهند أيام /مارك/ وفي إيران (المزدكية) وأصبحت الدعارة ينظر إليها بعين التقديس والإجلال في بابل، ولم تمض فترة عليها حتى آل أمرها إلى الانقراض وأصبح أمرها في كان، ولما انتشرت عبارة أفروديت في اليونان أصبحت مواخير الدعارة وأماكن الفجور مركز للعبادة، وأصبحت المومسات متنسكات وخوادم للمعبد، وعظم شأن الزنى إلى أن ألبسوه كساء من العمل الديني المبرور ولم يعد بعد أن مرت بالانحطاط أن يكون لها وللأمة نصيب من المجد والرقي مرة أخرى.

ــ المرأة في عهد الرومان:

كان للمرأة دور للوصول إلى ذروة المجد والرقي بعد عهد المرأة في اليونان، فلقد ظهرت على مسرح التاريخ لأول مرة، ولقد كان الرجل في أول الأمر رب الأسرة في مجتمعهم له حقوق الملك كاملة، على أهله وأولاده، بلغ من

سلطته أنه كان يجوز له حتى قتل زوجته في بعض الأحيان، وبعد أن تطورت الحضارة ضعفت سلطة الرجل وبدأت الكفة تميل إلى الاعتدال شيئاً فشيئاً، وبقي نظام الأسرة القديم على حاله ثابتاً حيث كان الرجال والنساء مقيدين بقيود مثقلة كما كان ينظر إلى العفاف نظرة تقدير وإجلال وخاصة في شأن النساء حيث كان يعد مقياساً للشرف، هذا يدل على أن مستوى الأخلاق كان عالياً، عندهم وكان محادثة أحد أعضاء مجلس الشيوخ ــ عندما قبّل زوجته أمام ابنته ــ أن غضب القوم عليه وحكموا عليه ــ نتيجة تعرضه من إهانة الخلق القومي (قرار التنكير عليه في مجلس الشيوخ) كما لم يكن مباحاً ولا مرضياً في أخلاقهم أن يتعاشر الرجل والمرأة دون عقد مشروع، إلى جانب هذا الواقع الأخلاقي الطيب نجد أن للمومسات مكانتهن، وللرجال يحق لهم مخادنتهن رغم أنهن كن مزدرين من عامة الناس وكانت النظرة لهن نظرة احتقار وتعيير، وبتطور الرقي في المدينة وازدهار حضارتها تطور حال النساء وتطورت معه نظام الأسرة من حيث عقد الزواج والطلاق الذي كان يتم بقاؤه على رضاء المتعاقدين، ولقد منحت المرأة جميع حقوق الإرث والملك وجعلها القانون حرة طليقة لا سلطة عليها من قبل الأب أو الزوج، كما استقلت بعيشها وأصبح منهن ثاريات على سير الأيام.

وبدأن يقرضن أزواجهن بأسعار الربا الفاحش مما سبب لأزواجهن أن يصبحوا عبيداً لزوجاتهم في ميادين العمل. كما لم يعد الطلاق شيئاً يندم عليه ولقد بلغ من كثرته وذيوع أمره أن جعلت النساء يعدون أعمارهن بأعداد أزواجهن وكانت المرأة الواحدة تتزوج رجلاً بعد آخر وتمضي في ذلك بغير حياء. وقد ذكر مارسل أنه خلال عام ٤٣ ــ ١٠٤م أن امرأة تزوجت عشرة رجال، وكذلك كتب جورنيل خلال عام ٦٠ ــ ١٤٠م عن امرأة أنها تقلبت في أحضان ثمانية أزواج في خمس سنوات، وأغرب من ذلك ما ذكره القديس

جروم (٣٤٠ ــ ٤٠٠م) عن امرأة تزوجت الزوج الثالث والعشرون من أزواجها وكانت هي أيضاً الزوجة الحادي والعشرون لبعلها. وهكذا تدهورت العلاقة الزوجية والرابطة القائمة عليها بين المرأة والرجل وأصبحت دون عقد مشروع مما أدى إلى انتشار الزنى والفساد وتدهورت معها الحضارة بتدهور واقع المرأة من حيث صيانة شرفها وكرامتها ونظام الأسرة القائم عليها. وبين وجودها في أماكن الخلاعة والتبرج الممقوت والعُرى المشين، كما أصبحت في آخر عهد الرومان في حالة من الخلاعة وفساد الخلق بحيث انتشر استحمام الرجال والنساء في مكان واحد وبمرأى الناس. كما انتشرت الكتب الخليعة السافرة وغير مقنعة مما أدى إلى الانهيار لدولة الرومان وتمزق جمعها كل ممزّق.

ــ المرأة في عهد القرون الوسطى (أوربا المسيحية):

لقد كان عصر النصرانية في أوربا تداركاً للفوضى الخلقية في عالم الغرب حيث أعطي لها العلاج الناجع والبلسم الشافي. ولقد أدت الحضارة في أول أمرها خدمات جليلة حيث أوقفت الفحشاء وقضت على العري في كل نواحي الحياة، وعولجت بمختلف الطرق لاستئصال الدعارة، وجعلت المومسات الراقصات والمغنيات يَتُبنَ ويرتدعن عن غيّهن ومكاسبهن الفاسدة. ركزت جهدها لتنشئة القوم على الأخلاق الزكية والآداب السامية، إلّا أن الفكرة التي كان يحملها الآباء المسيحيون عن العلاقة بين الرجل والمرأة كانت قد جاوزت حداً للتطرف وأوقدت حرباً على الفطرة البشرية في جانب آخر. ولقد كانت نظريتهم الأولى في هذا الشأن أن المرأة ينبوع المعاصي وأصل السيئة والفجور وهي للرجل باب من أبواب جهنم من حيث هي مصدر تحريكه وحمله على الآثام. ومنها انبجست عيون المصائب الإنسانية جمعاء. فبحسبها ندامة وخجلاً أنها امرأة، وينبغي أن تستحي من حسنها وجمالها لأن سلاح إبليس

الثري لا يوازيه سلاح من أسلحته المتنوعة ، وعليها أن تُكَفِّر ولا تنقطع عن أداء الكفارة أبداً، لأنها هي التي قد أتت بالرزء والشقاء للأرض وأهلها ، إليك ما قاله عنها ترتوليان (Tertullion) أحد أقطاب المسيحية الأولى وأئمتها مبيناً نظرية المسيحية في المرأة :

آ ــ أنها مدخل الشيطان إلى نفس الإنسان وأنها دافعة بالمرء إلى الشجرة الممنوعة ــ ناقضة لقانون الإله ، ومشوهة لصورة الله أي الرجل ، ويقول / كراي سوستام / Kry- Soustam : الذي يعد من كبار أولياء الديانة المسيحية في شأن المرأة : هي شر لابد منه ، ووسوسة جبلية وآفة مرغوب فيها ــ خطر على الأسرة ومحبوكة فتاكة . ورزء مطلي مموه . إن العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة هي نجس في نفسها يجب تجنبها ولو كانت عن طريق نكاح وعقد رسمي مشروع . هذا التصور الرهباني للأخلاق التي كانت جذورها تتأصل في أوروبا من قبل وذلك بتأثير الفلسفة الإشراقية . جاءت المسيحية فزادته شدة وبلغت به منتهاه حيث أصبحت حياة العزوبة مقياساً لسمو الأخلاق وعلواً لشأنها . كما صارت الحياة العائلية علماً على انحطاط الأخلاق ومهانة الطباع ــ وجعلوا يعدون العزوبية وتجنب الزواج من إمارات التقوى والورع وزكاء الأخلاق . وأصبح من المحتم لمن يريد أن يعيش عيشة نزيهة أن لا يتزوج أصلاً . كما لا يعاشر امرأته معاشرة الزوج لزوجته . كما أن رجال الكنيسة وضعوا القوانين في مؤتمراتهم الدينية بأن لا يختلوا بزوجاتهم وأن لا يتلاقى الرجل منهم بالمرأة إلا بمرأى من الناس أو أمام رجلين من رجالهم على الأقل ، كما أنهم ثبّتوا في قلوب الناس الشعور القوي لبشاعة العلاقة الزوجية وتنجسها ، حتى أن الزوجين إن اتفقا أن يبيتا معاً ليلة عيد من الأعياد لا يجوز لهما أن يشتركا مع القوم في البهجة والفرح لأنهما في نظر القوم اقترفا إثماً . ويتكدر صفو أفراد الأسرة حتى بين الولد وأمه ، وهكذا فلقد أصبحت الحياة

الزوجية مبعث حرج وضيق للرجال والنساء مما أدى إلى تدني قيمة المرأة في حقول الأخلاق والاجتماع في كل نواحي الحياة، وجميع ما وضع في العالم الغربي بتأثير الشريعة المسيحية التي لا تخلو من الخصائص التالية:

١ ــ جُعِلَت المرأة تحت سلطة الرجل كاملة وعادت حقوقها في الإرث محدودة. وأما حقوقها في الملكية فكانت أنزر وأقل مما كان لها حتى في كسب يدها، بل كان كل ما عندها ولها ملكاً لزوجها.

٢ ــ الطلاق والخلع لم يكونا مباحين في حال من الأحوال مهما بلغ البغض والتنافر بين الزوجين، ومهما بلغ الشقاق بينهما في إفساد العشرة وعليهما الثبات والصبر ولو أصبح بيتهما قطعة من العذاب. وكان الدين والقانون يحتمان عليهما دوام العشرة وبقاء حبل الزوجية متصلاً وأقصى ما كان يمكن فعله في بعض الأحوال الشاذة البالغة من الشدة أن يقطع ما بين الرجل والمرأة ويفرق بينهما تفريقاً على أنه يمنع كل من الزوجين بعد ذلك التفريق أن يجدد كليهما أو كل واحد منهما الحياة الزوجية ويختار زوجاً أو زوجة موافقاً له. ولقد كان هذا العلاج أكثر ضرراً وأشد خطباً حيث يصبحا أمام أحد أمرين:

آ ــ إما أن يختارا عيشة الرهبان أو الراهبات.

ب ــ يتعاطيا الفجور والفحشاء ما بقي من عمرهما.

٣ ــ ولقد كان من أقبح العار أن يتزوج الرجل أو المرأة ثانية إذا توفي عن أحدهما زوجه أو زوجته. بل عندهم من كبائر الاثم. وكان من رأي علماء المسيحية في ذلك أنه ادعاء للشهوات البهيمية وإطلاقاً لعنان غريزة الفحشاء، وكانوا يعبرون عن القران الثاني بكلمة (الزنا المهذب) أما رجال الكنيسة فلم يكن النكاح لهم مباحاً في قانون الكنيسة وكذلك القانون المدني العام.

ــ المرأة في عصر أوربة الجديدة (بعد ثورة فرنسا الشهيرة):

تحرك العهد لإنقاذ المرأة من كبوتها حيث خففوا شيئاً مما كان في قوانين

الطلاق من شدة وتضيق، وأعيد إلى النساء الحقوق الاقتصادية المسلوبة ورفعوا من قيمة المرأة بعد أن كانت في مكان الذل والإهانة، كما جرى تعديل على قوانين إلعشرة والاجتماع التي كانت قد وضعت النساء في مستوى الجواري. كما فتحت لهن أبواب التعليم والتربية العالية، فانبعثت مواهب النساء وبرزت كفاءتهن مما أبلين بلاءً حسناً في سبيل الخير وأعمال البر حيث اعتنت بالصحة العامة وتربية الجيل الناشئ ومواساة المرضى وتنمية النظام العائلي وآدابه. كل ذلك كان من بواكير ثمار اليقظة التي حصلت بين النساء، وعندما بدأ القرن العشرين بلغ نظام الاجتماع الغربي نهاية الإفراط والتباعد عن القصد.

يمكن حصر النظام بما يلي:

آ ــ المساواة بين الرجال والنساء.

ب ــ استقلال النساء بشؤون معاشهن.

ج ــ الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء.

آ ــ لقد كانت المساواة في جميع ما يتطلبه الرجل، بل ازدادت المرأة أن أرخي لها جميع القيود الخلقية مما قادها إلى الانحراف والابتعاد عن أداء واجباتها الفطرية ووظائفها الطبيعية التي تتوقف على أدائها بقاء المدنية، بل بقاء الجنس البشري بأسره، واستهوتها الأعمال والحركات السياسية والاقتصادية والاجتماعية حيث دخلت معارك الانتخابات النيابية ووظائف المكاتب، والمعامل ومنافسة الرجال بالمهن التجارية والصناعية الحرة والمشاركة بمختلف الألعاب والمسابقات الرياضية وحضور مجالس اللهو والقصص والظهور على المسارح والاشتراك في حفلات الرقص والسهرات العامة وما بداخلها من لهو ومجون يمنع ذكرها الحياء من خفايا هذه المدنية البراقة. كل ما ورد ذكره جرد المرأة من حياتها القيام بتبعات الحياة الأدبية وتربية الأطفال وخدمة العائلة وتنظيم الأسرة. وكان عاقبة ذلك أن تبدد النظام العائلي وانعدمت الحياة البيتية التي يتوقف على هدوئها

وطمأنينتها وانعدمت رابطة عقد الزواج معها التي تمثل تعاون الرجل والمرأة على خدمة المدنية حيث أصبحت أوهن من بيت العنكبوت .

ب ــ استغلال النساء بمعايشهن واضطلاعهن بشؤونهن الاقتصادية قد جعلهن في غنى عن الرجال ، ولقد تبدل النظام القديم القائم على كسب الرجل وتدبر المرأة شؤون البيت ، وحل مكانه كسب الرجل والمرأة معاً ، وترك شؤون البيت للغير ، وانعدمت الصلة بينهما والعشرة البيتية التي تجمعهما في إطار الحياة الزوجية ولم يبق بينهما غير صلة الشهوة الحيوانية فقط . لم تعد المرأة بحاجة إلى راع يرعاها أو نصير يعينها طالما لم تعد تتحمل تبعات الأسرة والمنزل ، ولعل فكرة المساواة الخلقية قد أزالت جميع العقبات والعراقيل التي كانت تعترضها في سلوك طريق الدعارة والفجور ، ولم يعد يهمها خشية المجتمع ، وآخر ما كانت تخافه مع أخواتها هو ذاك المولود النغل الذي تلده من فاجر مغمور قد أذهب عنها هذا الخوف نتيجة الابتكار الذي يقودها إلى التخلص منه ، وأولها تدابير منع الحمل فإن أخفقت فلا بأس في إسقاط الجنين وإن لم يتحقق فلا حرج في قتل المولود من وراء الجدران وفي جنح الظلام ، وإن أبت عاطفة الأمومة من قتله فتصبح أماً زانية ، هذا هو بنيان المجتمع الغربي بأكمله ، يرتدن نساؤه موارد الفحشاء والشهوات من غير تحفظ ولا خجل . زواجهم يتكون من حقيقة وهمية مجردة من العاطفة والرباط الرباني . ليس بينهما سوى صلة المتعة الجنسية ، وتتبدد جميع عواطف الحب وتنطفئ جذوره وتخمد ناره وسرعان ما ينشطر إلى فروع المتعة بالصلات الخارجية ولكل منهما حريته وشهوته البهيمية .

ج ــ ولقد كانت نتيجة الاختلاط المطلق بين الرجال والنساء غريزة التبرج والعري في النساء ، ولقد ازدادت الجاذبية الجنسية اشتداداً باختلاط الجنسين وأدى ذلك إلى الظهور بأبهى زينة وأجذبها للجنس الآخر ، ولم يعد شيئاً ينكر

أو يعاب وخاصة باستخدام كل أسباب الفتنة والاستهواء. وانتهى بهم الحال إلى غاية العري المشين حيث لم يعد استخدام أنواع الملابس البراقة الفاتنة وتعاطي أسباب الزينة المتجددة من الوشي والتطاريف والأصباغ والحلي. بل ذهبت تتجرد من ملابسها ولا تريد أن تستر جسمها بأي شيء، ولقد أصبح الرجال أمام هذا الحال كالورقة اليابسة في مهب الريح تتقاذفها التيارات العاطفية ونار الشهور تتأجج في أحاسيسهم لا يطفئها شيء، وكلما حاول الإنسان أن يطفئ منها شيئاً تعرض إلى نار أخرى تزيده ضراماً وحرارة. لقد كان هذا الداء الوبيل في الأمم الغربية حيث فقدت الهدوء والدعة (السكينة في كل جوانب حياتها وفقد معها الوعي والقوى العقلية الجسدية) كما انتشرت مع الفساد الأمراض وتفشت سمومها، وليس لهم مخرج سوى أن يسري هذا الطاعون إلى الجميع. هذه هي الحضارة التي كانت عليها أوربا ولا تزال تعيش على الضوضاء وتسلط الأضواء على واقعها المموه الذي يغزو المرأة بالمساحيق والزينات والفنون الجميلة ومسابقات الجمال وإظهار المفاتن. كل ذلك يظهر باسم الحرية، كما تنتشر الوحشية والقسوة باسم الانطلاق، والحقيقة التي آلت إليها المرأة في الغرب هو الظلم والبؤس والشقاء والحرمان والعذاب والإهانة، وفقدت كرامتها وعزتها ومكانتها وأنوثتها، وأصبحت سلعة تباع في الليالي الحمراء بأرخص الأثمان ولاتزال تعيش في حالة من الوهم والهم وسوء الحال والمرض المخيف.

ـ المرأة في الجاهلية:

لقد كانت المرأة العربية جهازاً للتفريغ يتطلبون لها النطفة الأصيلة كما كانت الجاهلية أكثر نفوس البشر ـ قبل الإسلام ـ إنصافاً للمرأة، وعلى الرغم من غلبة القسوة على طبيعة الجزيرة ومرد ذلك بالدرجة الأولى إلى خصائص المرأة العربية بالذات وإلى نشأتها الخلقية التي كانت موضع تقدير

المجتمع الجاهلي، ولقد رأينا قبائل برمتها ورجالاً من أكابر القوم ينتسبون إلى الأمهات، وقد روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنا ابن العواتك من سليم» رواه الطبراني عن سيابة بن عاصم السند صحيح. ويشير بذلك إلى نسوة من أصوله كل منهن تسمى عاتكة، وقد كان لبعض النسوة في الجاهلية أثرهن الكبير من كبريات الأشراف، وهذه معركة ذي قار وهي من أضخم أحداث الجاهلية تنشب بسبب امرأة أرادها كسرى وأباها النعمان عليه، وتلك حرب الفجار نشبت من أجل امرأة أراد بعض الشباب كشف نقابها. كذلك رأينا شعر الجاهليين طافحاً بالحديث عن المرأة وأثرها في تنشيط الفضائل لدى الشباب إذ يبذل الفتى نفسه في المعارك ليجري ذكره على ألسنة الفتيات كواحد من الأبطال، كما امتازت بعض البيوت العربية بإكرام البنت حتى لا تسمح بزواجها إلا برضاها هي. كما حدث للخنساء إذ رفضت دريداً سيد بني هوازن وحكيمها لتتزوج أخيراً من رجل متلاف مقامر ذاقت في ظله ضروب الشقاء. غير أن هذا الحظر من التكريم لم يكن منتشراً في الجزيرة إذ أن طبيعة البادية قد نالت من المرأة العربية أقسى منال. فقد قضى نظامها العنيف أن لا تعترف بالحياة لغير القوي.

لذلك حرمت المرأة والطفل من الإرث بل حرمت حتى حق الحياة فسبيت وبيعت ووئدت. وهذا قيس بن عاصم المنقري يأتي رسول الله ﷺ مسلماً يسأله أن يستغفر له الله لأنه وأد اثنتي عشرة أو ثلاثة عشرة من بناته في الجاهلية. كما أن كثيراً من القبائل لم يكن للمرأة فيها أي حق حتى أنها كانت تورث مع المتاع فلا تملك أن تزوج نفسها من أحد بل للوارث وحده أن يفصلها أو يخص بها نفسه أو يبيعها كما أنها لا تستوي مع الرجل في الدماء. فإذا قتل رجل امرأة لم يقتل بها. لأن القاعدة أن الرجل لا يوازيه سوى رجلاً مثله. وهذا الفاروق رضي الله عنه يحدثنا عن المظالم فيقول: إنا كنا والله في

الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى أنزل الله فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم . ولقد شاركت الجزيرة العربية بقية الشعوب في ظلم المرأة ولم يكن يعرف عن المرأة سوى أنها جهاز تفريخ يتطلبون له النطفة الأصيلة ويختارونها من الأجهزة الأصيلة ليظفروا منها بالولد الأصيل. ولهذا كان عندهم من أنواع الاتصال الجنسي على النحو التالي :

آ ــ الاستبضاع : وهو أن يجري الزوج فحلاً يعجبه من الرجال فيأمر امرأته أن تطلبه لتستبضع منه ويأتي منه بالمولود المختار .

ب ــ البغاء : وكان منتشراً في مختلف الأنحاء ويقام في البيوت وترفع فوقها الرايات ويردها من يشاء من الرجال. والتاريخ يتحدث عن كبار الجاهليين الذين كانوا يتاجرون بأعراض الفتيات فيكرهونهن على مزاولة الدعارة ليأتينهم بالمال . لا يجدون في ذلك حرجاً . ولقد استمر فيهم هذا الحال حتى نزل قوله تعالى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء﴾ . ومهما يكن من أمر التفاوت بين مكانة المرأة العربية وغير العربية في عالم ما قبل الإسلام فالقاعدة المشتركة أنها مسلوبة الحق كإنسان وليس لاستثمارها في البغاء هنا وهناك سوى معنى واحد : هو الاتفاق على الانحدار بها إلى المرتبة الحيوانية، ومهما تكن المسوغات ومهما كانت المظاهر التي تحاط بها تلك الفاحشة البهيمية من الاحترام الكاذب. في المسميات المغرية كالاستبضاع والبغاء المقدس، وما إلى ذلك . أما ما عدا هذا فليس هناك سوى فيض الفطرة الذي ينبثق بين الحين والآخر ليمثل شذوذ القاعدة أو ليذكر الناس بالحق ما طمرته انحرافات الإنسان .

ج ــ اجتماع الرهط ما دون العشرة أشخاص ويدخلون على المرأة كل منهم يصيبها فإذا حملت ووضعت أرسلت في طلبهم بعد عدة ليالي من الوضع . لم

يستطع أن يتخلف أحد منهم حيث يجتمعوا عندها ويعرض الولد ثم تلحقه بمن يُشابَه دون أن يمتنع المطلوب عن رغبتها .

د ــ النكاح : وهو الأطهر وهو الذي يجرون عليه الناس حتى اليوم ، حيث يخطب الرجل من الرجل وليته أو ابنته فيصدقها ثم ينكحها .

وهكذا يتبين أن المرأة كانت متعة فقط ولا رأي لها .

ــ المرأة في ظل فجر الإسلام :

لقد وضع الإسلام الأسس الكبرى لمكانة المرأة وقيمتها الإنسانية والأخلاقية والموضوعية في المجتمع ، ولقد قال الله تعالى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حَمْلاً خفيفاً ﴾ . (سورة الأعراف ١٨٩) ، وقال الله تعالى : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبَثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً ﴾ (سورة النساء ١) ، وقال الله تعالى : ﴿ والله جعل لكم من أنفسكم أزواجاً وجعل لكم من أزواجكم بنين وحفدةً ﴾ . (سورة النحل ٧٢) .

بهذه الآيات التشريعية بلغت المرأة مكانتها وأنها أخت الرجل وخلقت من نفس آدم عليه السلام وبث من آدم وحواء رجالاً ونساءً . الأب واحد والأم واحدة . هناك محبة ومودة ورحمة ، وهناك إخاء وألفة وإكرام ومساواة منذ ولادتها ، مساواة في الحنان والعطف والغذاء والتربية والرعاية والعلم والأدب والطاعة والتهذيب وحتى بالحب والقبلة والرضاعة والخوف من البرد والمرض والبلاء والأذى ، لأنها مخلوقة من نفس واحدة وهدية من المولى عز وجل يجب حفظها وأمانة يجب العناية بها . تعال معي واسمع قول أعظم البشر فيها سيدنا محمد ﷺ : « من عالَ ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو أختين أو ابنتين فأدبهن

وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة » رواه داوود والترمذي . وإذا ما عرفت المرأة قدرها الذي وصلت إليه بعد أن كان الوَأْدُ لها والسلعة التي تباع وتُشرى لأنها كانت تعتبر مصيبة تحل بالأهل من الذل والعار والاحتقار ، وإذا كان في الوجود من يعترف بفضل الإسلام عليه فليس هناك أولى بالمرأة من ذلك عندما انطلق صوت الإسلام من مكة المكرمة ينادي بكرامتها وإنسانيتها وإعطائها الحقوق والمساواة مع الرجل في العقاب والثواب ، في الحسنات والسيئات ، في الأمر والنهي في البعد عن المعاصي والسمو في الرفعة (الطهارة) . وبهذا فلقد أصبحت بفضل الإسلام إما صاحبة الحق الأول في البيت وفي تربية الأولاد وحفظ كرامة الرجل وشرفه وسمعته في حال غيابه . وكان منها المربية ومنها الممرضة ومنها المجاهدة في سبيل الله ، ولقد كانت أول شهيدة في الإسلام / سمية / زوجة ياسر رضي الله عنهما ولقد قال الله تعالى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ﴾ وقال أيضاً : ﴿ للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن ﴾ وهي أيضاً رحم . فهي أم ، وأخت ، وابنة ، وعمة ، وخالة ، أو ابنة عم أو ابنة أخ أو ابنة أخت .

لقد قال الله تعالى عنها : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ ، واسمعوا قول الله تعالى في أولئك الذين كانوا يعتبرون المرأة باب المصائب وأنها تجلب العار وتجعل البيت الذي تعيش فيه دار بغاء ودعارة وفساد لهذا وصفها الله تعالى في قوله : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وإذا بُشِّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم * يتوارى من القوم من سوء ما بُشِّر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ، ألا ساء ما يحكمون ﴾ (سورة النحل ٥٨ ــ ٥٩) .

الأنثى له . ومهما يكن فلقد كان التشريع الإسلامي المنهاج الذي تسلكه في حياتها لتكون لها الاحترام والوقار والرفعة والتقدير .

ولهذا خاطبهم الإسلام بالعفة والاحترام ، وهذه وصيته للمرأة المسلمة خلال سلوكها في حياتها حيث قال الله تعالى في كتابه الكريم : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو أخوانهن أو بني أخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن ﴾ (سورة النور ٣١) .

وبعد أن أحاط الإسلام بسلوكها والأمانة التي يجب أن تحافظ عليها ، وقف بالمرصاد لمن يتعدى حدودها وينال من كرامتها وإن بالتزامها هذا الخط الإسلامي فقد حفظ لها حقوقها وصان شرفها ووضع العقوبة على من يتطاول بلسانه عند التحدث عنها فقال الله تعالى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون * إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم ﴾ صدق الله العظيم (سورة النور ٤ — ٥) .

وقال في حفظ الزوج لزوجته والاحترام لحشمتها وكرامتها وشرفها : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ والذين يرمون أزواجهم ولم يكن لهم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين * والخامسة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين * ويدرءوا عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين * والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من

الصادقين ﴾ (سورة النور ٦ ــ ٧ ــ ٨ ــ ٩) ، كما حمل العقوبة من يقذف المؤمنين والمؤمنات بالاثم حيث قال الله تعالى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتاناً وإثماً مبيناً ﴾ (سورة الأحزاب ٥٨) .

وأضاف أيضاً في الحديث عن الكذب (الإفك) في حق النساء : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرئٍ منهم ما اكتسب من الاثم ٭والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم ٭لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً ، وقالوا هذا إفك مبين ﴾ إلى قوله تعالى : ﴿ إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم ﴾ (النور ١١ ــ ١٢ ــ ٢٣) إن من يتلو هذه الآيات القرآنية يتبين له ما وصلت إليه المرأة في عهد الإسلام وما قُدِّمَ لها من رعاية وكرامة وحقوق ، خلافاً لما كان عليه منذ عهد آدم حتى عهد الجاهلية . لهذا نجد أن الإسلام فرض عليها السبل التي يجب أن تسلكها كي لا تعرض نفسها للنَّيلِ من كرامتها وشخصيتها وذلك بأن تبتعد عن المعاصي والمنكرات والفواحش بعد أن صرف عنها جميع الطرق التي تجعلها ذليلة حقيرة مهانة كما وصفها بالخيرة في انتقاء من يعصمها ويحفظ لها حقوقها ؛ فلقد قال الرسول الكريم محمد ﷺ في ذلك : « لا تنكح الآيم حتى تستأمر ، ولا البكر حتى تستأذن ، قالوا : يا رسول الله كيف إذنها ؟ قال : أن تسكت » . وعلى الرجل أن يختار من تكون له أماً لأولاده ــ تحفظ له سمعته وكرامته وشرفه . كما قال الرسول الكريم محمد ﷺ : « تنكح المرأة لأربع : لمالها وجمالها ولحسبها ودينها فاظفر بذات الدين تربت يداك » أخرجه الترمذي والخمسة .

ولقد علّم الله الزوج لإقامة الأسرة الكريمة الطاهرة المؤمنة وذلك بأن يدعو الله دائماً بالدعاء التالي إلى الله: «ربّنا هب لنا من أزواجنا وذريّاتنا قرة عين واجعلنا للمتقين إماما».

وعلى المرأة التي خاطبها الزوج في دعائه إلى الله أن تكون من اللواتي خاطبهن الله تعالى حيث قال: أعوذ بالله من شيطان الرجيم: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك أدنى أن يُعْرَفْنَ فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً﴾ (سورة الأحزاب ٥٩).

ولقد استثنى من ظاهرة الحجاب أمام بعض الناس كما ذكرهم الله تعالى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لا جناح عليهن في آبائهن ولا أبنائهن ولا أخوانهن ولا أبناء أخوانهن ولا أبناء أخواتهن ولا نسائهن ولا ما ملكت أيمانهن واتقين الله﴾ (الأحزاب ٥٥).

كما قال الله تعالى في المرأة الغير راغبة في الزواج: ﴿والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جُناحٌ أن يَضعْنَ ثيابهن غير متبرجات بزينة وأن يستعففن خير لهن﴾ (سورة النور ٦٠).

كما حرم الله على الرجال نكاح بعض النساء وحضهم في قوله تعالى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف إنه كان فاحشة ومقتاً وساء سبيلاً﴾ (سورة النساء ٢٢) وقال أيضاً في التحريم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿حُرِّمتْ عليكم أمهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الأخ وبنات الأخت وأمهاتكم اللاتي أرضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وأمهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فإن لم تكونوا دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف إن الله كان غفوراً رحيماً﴾ (سورة النساء ٢٣).

ولقد قال الرسول الكريم سيدنا محمد ﷺ في حق الزواج: «إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إن لا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير». أخرجه الترمذي.

وهكذا فإن رأس مال العفة والحياء لدى المرأة هو الحجاب الذي فرضه الله تعالى عليها كي تخفي مفاتنها عن الرجال، وتبقى جوهرة مكنونة لا يراها ولا يمسها إلا من خلقت من ضلعه كما أمر الله. والحجاب يقيها من كل معصية من أعين الفاسقين، ويصون شرفها ويحيطها بهالة من القدسية والاحترام، وحجاب المرأة عن الرجل مهما كان بالنسبة إليها سوى ما ورد ذكره في التحريم عنها ولقد قال الله تعالى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أذكى لهم*إن الله خبير بما يصنعون*وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها وليضربن بخمورهن على جيوبهن ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو أخوانهن أو بني أخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن أو ما ملكت أيمانهن أو التابعين غير أولي الإربة من الرجال أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن وتوبوا إلى الله جميعاً أيُّهَ المؤمنون لعلكم تفلحون﴾ (سورة النور ٣٠ ــ ٣١).

ولقد اعتبرت الفطرة الشهوانية نوع من أنواع الزنا حيث قال رسول الله ﷺ: «كتب على ابن آدم نصيبه من الزنا فهو مدرك ذلك لا محالة. العينان زناهما النظرة والأذنان زناهما الاستماع واللسان زناه الكلام واليد زناها البطش والرجل زناها الخطا، والقلب يهوى ويتمنى ويصدق الفرج ذلك أو يكذبه».

ولقد أعطى الله (المرأة المؤمنة المناضلة) مكاناً سامياً: قالت أم سلمة: يا رسول الله أنساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ فقال رسول الله ﷺ: نساء

الدنيا المؤمنات أفضل من الحور العين كفضل الطهارة على البطانة، قلت: يا رسول الله وأيتّم ذا؟ قال: بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن لله عز وجل، ألبس الله وجوههن النور وأجسامهن الحرير، بيض الألوان ــ خضر الثياب ــ صفر الحلي ــ مجامرهن الدر ــ أمشاطهن الذهب ــ يَقُلْنَ: إنا نحن الخالدات فلا نموت أبداً إلا نحن الراضيات، فلا نسخط أبداً، طوبى لمن كنا له وكان لنا. بهذه العقيدة وحدها تملك النفوس المؤمنة التي تستعد للقاء ولدها أو أخيها أو زوجها وأحياناً بهم جميعاً. ويوم القيامة أعطاها أيضاً المكان المناسب لها حيث قال الله تعالى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيراً والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ (سورة الأحزاب ٣٤)، كما قال الله تعالى في المساواة ونيل الثواب: ﴿ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا﴾ (النساء ١٢٤).

مما سبق من قوله تعالى يوضح المساواة بين المرأة والرجل في الأجر والثواب والعطاء سواء في الدنيا قبل الآخرة. وكما يقول الله تعالى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم﴾ (التوبة ٧٢).

وقال الله تعالى في الإحسان للذكر مثل الأنثى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾ (النحل ٩٧).

ولقد قال الله تعالى في اختيار الزوجة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم:

﴿ وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله والله واسع عليم ﴾ (سورة النور ٣٢) ، كما قال الله تعالى في ثواب العمل : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب ﴾ (سورة المؤمن « غافر » ٤٠) ، وقال الله تعالى أيضاً : ﴿ الذين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين □ ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون ﴾ (الزخرف ٦٩ ـــ ٧٠) ، وقال الله تعالى أيضاً في حق المؤمنين يوم القيامة وحق المنافقين : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم • يوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا انظرونا نقتبس من نوركم قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً ﴾ (سورة الحديد ١٢ ـــ ١٣) ، وقال الله تعالى في المساواة عند الطاعة : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً ﴾ (سورة الأحزاب ٣٦) .

ولقد حافظ الرسول الكريم محمد ﷺ على المرأة وصان شرفها وأوجد شخصيتها المحترمة في المجتمع كي لا تكون سلعة في يد الجهلة والفسقة أو تكون ورقة يابسة في مهب الريح أو لقمة سائغة يستغلها ويستبد بها الجهلة الظالمون ، حيث أحاطها بالعناية والسمعة الكريمة حيث قال عنها :

١ ـــ لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة إلا ومعها محرم لها . أخرجه الستة .

٢ ـــ وعن ابن عباس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : لا يَخْلُوَنَّ رجل بامرأة إلا ومعها محرم فقام رجل وقال : إنّ امرأتي خرجت حاجَّةً وإني اكتتبت

في غزوة كذا وكذا قال الرسول ﷺ له: انطلق وحجَّ مع امرأتك. وعن أبي أمامة عن النبي ﷺ أنه قال: ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خير من زوجة صالحة به إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها أسرته، وإن أقسم عليها أبرَّته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله. رواه ابن ماجه، وعن اسماعيل بن محمد بن سعيد بن أبي وقاص عن أبيه وجده قال: قال رسول الله ﷺ: من سعادة بن آدم ثلاثة: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح. ومن شقوة ابن آدم ثلاثة: المرأة السوء، والمركب السوء، والمسكن السوء. رواه أحمد. وعن عقبة بن عامر أنْ رسول الله ﷺ قال: إياكم والدخول على النساء فقال رجل من الأنصار: أفرأيت الحَمْو؟ قال: الحَمْو هو الموت (الحمُ: أبو الزوج والأخ والعم وابن العم للطرفين). وقال أيضاً: لا يَخْلُوَنَّ رجل بامرأة إلا كان ثالثهما الشيطان. وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يَخْلُوَنَّ بامرأة ليس بينه وبينها محرم. رواه الطبراني. وقال أيضاً: ولأن يزحم رجلاً خنزيراً متلطخ بطين أو حمأة (الطين الأسود المنتن) خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لا تحل له. رواه الطبراني. وقال الرسول الكريم محمد ﷺ في مقام الأم عن أبي هريرة قال: جاء رجل إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك؛ قال: ثُمَّ من؟ قال: أمك؛ قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أمك؛ قال: ثُمَّ مَنْ؟ قال: أبوك. أخرجه الشيخان. وفي مقام خدمة الوالدين عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: استأذن رجل رسول الله ﷺ في الجهاد فقال الرسول له: أحَـيٌّ والديك؟ قال: نعم! قال: ففيهما فجاهد. وعن أسماء بنت أبي بكر الصديق قالت: قدمتُ على أمي وهي مشركة فاستفتيت رسول الله ﷺ، فقلت: قدمت علي أمي وهي راغبة. أفأَصِلُ أمي؟ قال: نعم، صِلِي أمك. أخرجه الشيخان.

عن أبي سعيد بن مالك بن ربيعة الساعدي : أن رجلاً قال : يا رسول الله ! هل بقي من بر أبوايَ شيءٌ أبرُّهما به بعد موتهما ؟ قال : نعم ! الصلاة عليهما والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما . أخرجه داوود .

كما أن الله نجد العدل الذي أقامه بين المرأة والرجل في المجتمع وخص الرجل بمميزات المرأة حيث قال الله تعالى في ذلك : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين ﴾ (سورة النور ٣) ، وقال أيضاً في العقاب : ﴿ الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر * وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين ﴾ (سورة النور ٢) ، كما قال الله تعالى محذراً ومنذراً : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلاً ﴾ (سورة الإسراء ٣٢) ، كما اختص الرجل بالمرأة من حيث الأخلاق والصفات فقال الله تعالى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ الخبيثات للخبيثين * والخبيثون للخبيثات * والطيبات للطيبين * والطيبون للطيبات * أولئك مبرأون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ﴾ (سورة النور ٢٦) .

وفي موضوع الزنى قال الرسول الكريم محمد ﷺ : « كل عين زانية وإن امرأة إذا استعطرت ثم مرت بالمجلس فهي زانية » أخرجه أصحاب السند . كما قال في المرأة حين زواجها : « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فإن نكاحها باطل (ثلاث مرات) وإذا دخل عليها فالمهر لها بما استمل من فرجها ، وإن اشتجروا فالسلطان وليُّ من لا وليَّ له » ، وقال الرسول الكريم محمد ﷺ : « أيما رجل تزوج امرأة على ما قلّ من المهر أو كثر وليس من نفسه أن يؤدي إليها حقها خدعها ثم مات ولم يؤد إليها حقها لقي الله يوم القيامة وهو زانٍ » . وقال

في حق الزوجة: عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: ثلاثة من النساء لا تقبل لهن صلاة:

آ ــ المرأة الساخط عليها زوجها.

ب ــ المرأة التي غاب عنها زوجها وقد كفاها مؤونة الدنيا فخانته أو تبرجت بعده.

د ــ المرأة التي عصت زوجها حتى ترجع.

وقال رسول الله ﷺ في معاملة الزوجة: عن أبي هريرة أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً، وخيـاركم خيـاركم لنسائهم» وألطفهم بأهله وأنا خيركم لأهلي». وللمرأة عقاب كما للرجل حين تتعرض للمعصية فلقد قال الله تعالى دون تفريق بينهما: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم □ فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه إن الله غفور رحيم﴾ (سورة المائدة ٣٨ ــ ٣٩).

وقال الله تعالى أيضاً: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لِيُعَذِّبَ الله المنافـقين والمنافقـات والمشركين والمشركات ويتـوب الله على المؤمـنين والمؤمنات﴾ (الأحزاب ٧٣). ولقد ورد عن رسول الله ﷺ: عن عائشة أن قريشاً أهمهم شأن المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ فقالوا: من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ؛ فكلمه أسامة رضي الله عنه فيها قال الرسول ﷺ له: أتشفع في حد من حدود الله تعالى؟ ثم خطب وقال: إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد. وأيم الله لو أنَّ فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. أخرجه الخمسة.، وقال الله تعالى في عقاب وحق المنافقين: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من

بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هي حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾ ، وقال الله تعالى في معاملة اليتامى من النساء: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم في الكتاب في يتامى النساء اللاتي لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وأن تقوموا لليتامى بالقسط ... ﴾ (النساء ١٢٧) ، كما أن الله تعالى خصها بالميراث حيث: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة*إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك وهو يرثها إن لم يكن لها ولد. فإن كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك. وإن كانوا أخوة رجالاً ونساءً فللذكر مثل حظ الأنثيين﴾ (النساء ١٧٦) ، وقال الله تعالى في معاملة الزوجة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يحل لكم أن ترثوا النساء كرهاً ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فإن كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً* وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً أتأخذونه بهتاناً وإثماً مبيناً*وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم إلى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً﴾ (النساء ١٩ ــ ٢٠ ــ ٢١) ، وقال الله تعالى في تعدد الزوجات: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿... فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم ذلك أدنى ألا تعولوا*وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فإن طبن لكم عن شيء منه نفساً فكلوه هنيئاً مريئاً﴾ (النساء ٣ ــ ٤) . وقال الله تعالى أيضاً في موضوع العدة للمطلقات: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة

تعتدونها فمتعوهن وسرحوهن سراحاً جميلاً﴾ (سورة الأحزاب ٤٩) . وقال الله تعالى أيضاً : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم مِنْ وُجْدِكم ولا تضارُّوهن لتضيِّقوا عليهن وإن كنّ أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فأتوهن أجورهن وائتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى*لينفق ذو سعة من سعته ، ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما أتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما أتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ (سورة الطلاق ٦ ـــ ٧) .

قال الرسول الكريم محمد ﷺ محذراً للمرأة : أيما امرأة سألت زوجها طلاقها من غير ما بأس لم ترح رائحة الجنة . وقال أيضاً : عن أم سلمة قالت : قال رسول الله ﷺ : أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة . وعن أبي هريرة وعبد الرحمن بن عوف قالا : قال رسول الله ﷺ : إذا صلت المرأة أوقاتها الخمس ، وصامت شهرها ، وحفظت فرجها ، وأطاعت زوجها ، قيل لها ادخلي الجنة من أي باب من أبواب الجنة شئت . وعن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت : سألت رسول الله ﷺ : أيُّ الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال : زوجها ، قلت : فأيُّ الناس أعظم حقاً على الرجل؟ قال : أمك . وعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال : لو كنت آمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها لعظم حقه عليها ولا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها نفسها وهي على ظهر قتب ، لم تمنعه نفسها . وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : والذي نفس محمد بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فلم تأته إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها زوجها . وقال أيضاً : سمعت رسول الله ﷺ يقول : إن امرأة خرجت من بيتها وزوجها كاره لعنها كل ملك في السماء وكل شيء مرت عليه غير الجن والإنس حتى ترجع . رواه الطبراني .

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت زوجها إلا هتكت الستر بينها وبين رَبِّها. رواه أبو داود وابن ماجه. وعن أسامة بن زيد قال: قال رسول الله ﷺ: ما تركت من بعدي فتنة هي أضرُّ على الرجال من النساء الطباع تميل إليهن، ويقع الحرام لأجلهن، وتسعى للقتال والعداوة بسببهن، وأقل ذلك أن ترغبه في الدنيا وإفسادها أضر.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: حُبِّبَ إليَّ من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة. أخرجه النسائيُّ. وعن أبي سعيد الخدريّ قال: قال رسول الله ﷺ: من كان له ثلاث بنات أو ثلاث أخوات أو بنتان أو أختان فأحسن صحبتهن واتقى الله فيهن فله الجنة، إلا أنه قال: فأدبهن وأحسن إليهن وزوجهن فله الجنة. رواه الترمذي. وقال الله تعالى في حق الفقراء مِمَّن لا يجدون زواجاً لأنفسهم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصناً لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم﴾ (سورة النور ٣٣). ويقول الرسول ﷺ عن الزواج: «الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة» أخرجه مسلم. وقال في حد الزنا الرسول الكريم محمد ﷺ: من رمى غيره بالزنا وجب عليه القذف ثمانين جلدة، إن لم يأت بشهادة عدلين، ومن لم يثبت لم تقبل شهادته.

أما حالة الطلاق فيقول الله تعالى: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن أن يكتمن ما خلق الله في أرحامهن إن كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن في ذلك إن

أرادوا إصلاحاً ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم﴾ (البقرة ٢٢٨) ويقول الله تعالى أيضاً: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً إلا أن يخافا ألا يقيما حدود الله فإن خفتم ألا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به..﴾ (البقرة ٢٢٩)، وقال الله تعالى أيضاً في الطلاق: ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد، حتى تنكح زوجاً غيره، فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله..﴾ (سورة البقرة ٢٣٠)، وقال الله تعالى أيضاً في الطلاق: ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو سرّحوهُنَّ بمعروف ولا تمسكوهن ضراراً لتعتدوا..﴾ (البقرة ٢٣١) ﴿وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف..﴾ (البقرة ٢٣٢). وقال الله تعالى في معاملة المطلقة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضة ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف حقاً على المحسنين، وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى ولا تنسوا الفضل بينكم..﴾ (البقرة ٢٣٦ ـــ ٢٣٧) وقال الله تعالى في حالة وفاة الزوج: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً يتربَّصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشراً فإذا بَلَغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في أنفسهن بالمعروف..﴾ (البقرة ٢٣٤). وقال الله تعالى في عقاب المرأة المنحرفة والمرتكبة للفاحشة: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً﴾ وقال الله تعالى في عقاب قذف

المحصنات : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً أولئك هم الفاسقون﴾ ، وقال الله تعالى في احترام واقع المرأة بعد وفاة زوجها : ﴿ولا جناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو أكننتم في أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سراً إلا أن تقولوا قولاً معروفاً ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله ..﴾ (البقرة ٢٣٥) .

وعن جابر قال : شهدت العيد مع رسول الله ﷺ : فبدأ بالصلاة بلا آذان ولا إقامة ، ثم قام متكئاً على بلال ، فأمر بتقوى الله وحث على طاعته ، ووعظ الناس وذكرهم . ثم أتت النساء فوعظهن وذكرهن وقال : تَصَدَّقْنَ فإن أكثركن حطب جهنم ، فقالت امرأة من أوسط النساء (سعفاء الخدين ، أوسطهن حسباً ونسباً وذات لون أسود) قالت : لِمَهْ يا رسول الله ؟ فقال : لأنكن تكثرن الشكاة وتكفرن العشير (الزوج) . أخرجه الخمسة . وفي حديث عن سعيد الخدريّ قال : ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن . قلن وما ناقصات عقلنا و ديننا يا رسول الله ؟ قال ! أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل ؟ قُلْنَ : بلى ، قال : فذلك من نقصان عقلها . وقال : أليس إذا حاضت لم تُصلِّ ولم تقم ، قُلْنَ : بَلى ؛ قال : فذلك نقصان دينها . وقال الرسوم الكريم محمد ﷺ : إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله تعالى مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا والنساء فإن أول فتنة بني إسرائيل كان من النساء﴾ أخرجه مسلم والنسائي . وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : أما لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتي أهله قال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقنا ، ثم قدر بينهما في ذلك ولد ؛ لم يضره الشيطان أبداً . أخرجه الخمسة .

هذا وبعد أن عرفنا كيف كانت عليه المرأة في القديم وأثرها في تطور

الأمم وحضارتها، وكيف ترتقي إلى المجد بواقع المرأة وتبني الأمة حضارتها في حال كان وضع المرأة بمكان من الحشمة والأدب، بينما تنهار حضارتها في حال كان وضع المرأة في تخلف من الحشمة والأدب وتتبدد عظمة الأمة بانهيار واقع المرأة فيها وانحرافها إلى طريق الفحشاء والمنكر والبغي والفساد والرذيلة وما إلى ذلك من الدعارة وسوء الخلق.

وإننا نجد أن للإنسان العربي في عصر الجاهلية رغم ارتدائه ثوب الجهل والتخلف فإنه يختلف كلياً عن الإنسان في العصور التي سبقته (اليونان والرومان) إن هذا الإنسان العربي يتمتع بأخلاق لم يكن ليحملها أي إنسان في العالم الماضي والحاضر والمستقبل ذلك أنه من أصل عربي. إن هذه الشخصية العربية تمتزج بعناصر القوة والشجاعة والجرأة والكرم والفضيلة والإيثار وإكرام الضيف وتحمل المسؤولية ومن أهم هذه الصفات: الغيرة والنخوة وحرارة الدم التي هي مبعث كلمة العرب، حيث أنه لا يرضى بالذل ولا ينام على ضيم ولا يسكت على إهانة مهما كان مصدرها وحجمها، كما أنه يرفض العار صغيره وكبيره مهما كان. ومن هنا كان سبب مبعث دفن ابنته وهي حيّة. ولقد كان يحمل في صدره قلباً قاسياً جلداً يهجر العاطفة والحنان والمحبة في سبيل التخلص من فكرة العار، واستمر الحال عليه حتى ظهور الإسلام وبُعِثَ الرسول العربي الكريم سيدنا محمد ﷺ ولقد أرسل للناس كافة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ولقد قال الله تعالى على لسان نبيه الكريم: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق﴾ لهذا وبالإضافة إلى تهذيب الأخلاق العربية فإنه التفت إلى المرأة التي كانت في حال سيّء ومعاملة خاصة من الإهانة والكراهية، ولهذا جعل للمرأة مكانها في المجتمع ورفع من مقامها وعزز من شأنها وجعلها مخلوقة محترمة مصونة كما قال سيد الخلق فيها سيدنا محمد ﷺ: إنما النساء شقائق الرجال، وهي العنصر

الأساسي لبقاء الحياة واستمرارها على الأرض التي أراد الله تعالى دوام بقائها . كما قال الله تعالى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منها رجالاً ونساءً ﴾ صدق الله العظيم .

وعرفنا كيف جعل الإسلام المساواة بين الرجل والمرأة في الطاعة والثواب والعقاب وفي الأجر والمعصية في الدنيا والآخرة . انظر إلى قوله تعالى مخاطباً عباده المؤمنين ومحذراً إياهم : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ صدق الله العظيم (التحريم ٦) . وقال الله تعالى أيضاً : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً ، عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار ﴾ صدق الله العظيم .

إن مخاطبة الله المؤمنين هم من الرجال والنساء ليس هناك فارق بينهما في العقاب والثواب ، لهذا نرى طريق الوقاية لأنفسنا والحرص من الوقوع في المعاصي : أن نتفهم ما جاء في كتاب الله عز وجل ونتبع جميع أوامره ونتجنب نواهيه كما يقول الله تعالى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ فمن اتبع هُدايَ فلا يَضلُّ ولا يشقى سواء في الدنيا أو في الآخرة ﴾ .

وبعد أن استعرضنا واقع المرأة منذ أن وجدت حواء حتى يومنا هذا ، وكيف بدت للمجتمع سواء المتطور أو المتراجع وعلى مر العصور بمختلف الحضارات والأمم . فإن على المرأة أن تعرف وتدرك بعد قراءة هذا الكتاب ما يجب أن تتمسك به وما يجب أن تهجره حسب واقع شخصيتها سواء بمفردها أو ضمن الأسرة التي تعيش فيها والمجتمع التي هي منه ، وأن تسلك الطريق التي تحفظ لها مكانتها وحقوقها واحترامها الكامل وذلك بالعلم مع الحشمة

والأدب ، وأن تسير ضمن مجتمع نظيف لا تهاج فيه الشهوات في كل لحظة ، ولا تثار فيه دفعات اللحم والدم وإبقاء الدافع الفطري العميق بين الجنسين سليماً وبقوته الطبيعية دون استثارة مصطنعه وتصريفه في موضعه المأمون النظيف وأن تعامل المرأة بما جاء في حديث الرسول الكريم محمد ﷺ : أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لأهله (لنسائه) .

وبكلمة مثمرة نقول : ليس المراد من الحديث عن المرأة هو مجرد وقائع تاريخية أو سرد قصص أو أحداث أو مجموعة عواطف تتلاطم في هذا المجتمع القيّم ، وإنما فهم شخصية المرأة وتطورها وتفاعلها مع كافة العصور السابقة إلى أن جاء الإسلام وعصره العظيم الذي أعطى الأنموذج الكامل لحرية المرأة في المجتمع العادل سواء في البيت أو في الشارع وفي كل مكان وفي أرفع أنموذج وأتم صورة . ورغم كل ذلك فإن الله تعالى لم يجعل الشرائع والأوامر تبعاً لأهواء الناس ومزاجهم فلقد قال الله تعالى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن..﴾ (المؤمنون ٧١) . وقال الله تعالى أيضاً أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالاً مبيناً﴾ (الأحزاب ٣٦) .

يتضمن هذا الكتاب المراحل التي مرّ بها حال المرأة وواقعها على مر العصور التاريخية، ومحاولة إلقاء الضوء على حقيقة واقعها سواء في الماضي البعيد أو الماضي القريب أو الحاضر، وما يجب أن تكون عليه في المستقبل، مستعرضين واقع المرأة بشكل عام والنظرة إليها في عهد اليونان وفي عهد الرومان وفي القرون الوسطى وفي العصر الجديد في أوربة. ثم حال المرأة العربية والنظرة إليها في الجاهلية، ثم واقعها وحالها في فجر الإسلام، وما خصها به الإسلام من رعاية وتكريم.